﴿ السنة الاولى ﴾ ﴿ العدد ٣ ﴾

الأحياء

مجلة علمية تاريخية أدبية برداية ونهاية مصورة

﴿ مصر في اول يونيو (ايار) سنة ١٩٢٤ — ٢٨ شوال سنة ١٣٤٢ ﴾

مشاهير المتقدمين

﴿ ديدرو ﴾

الاستاذ الاول للامة الفرنساوية

(بل واضع أساس الآداب والفنون لجميع العالم)

ظهرت فرنسا في القرن الثامن عشر منهلا لنبوغ جمهور كبير من النوابغ ذوي نمور الرقيق والعقل المثقف حوّلاء ونموها الى أرقى أوج العلوم والفنون الجميلة ظهرت فيها مسميات عديدة : كالاندية الفرنسية والبلاط الفرنسي والفن الفرنسي والموسيقى والآداب والتعليم والازياء والعلوم وغدت منارة ترسل أشعة أنوارها الوهاجة الى جميع البلاد واخذوا في برلين وفينا ولندن وبطرسبرج يقلدونها وينسجون على منوالها بل حاولوا ادخال جميع فنونها الى عواصمهم

ولما تبوأت عرش روسيا الامبراطورة كاترينا الثانية عام ١٧٦٢ ادخلت الى بلادها كل فن فرنسي . وكانت صديقة حميمة لفولتير تراسله ويراسلها يومياً . ولم تقتصر على صداقة فولتير بل تعدتها الى صداقة كورنيل وراسين وموليير وامرت بتمثيل رواياتهم على المسرح الامبراطوري وكانت تحضر بنفسها التمثيل تشجيعاً لهذا الفن واجتذاباً للجمهور للاقبال عليه وعندما منعت الحكومة الفرنسية طبع دائرة المعارف المشهورة التي اشتغل بتأليفها جمهور من الكتاب الفرنسيين برئاسة ديدرو

عرضت على اولئك العلماء ان ينقلوا اداراتها الى بطرسبرج ومدتهم بمساعدة مالية كبيرة

كان ديدرو يتبوعاً حياً للافكار السامية ومثيلا للعبقرية له قلم سيال وقريحة وقادة لا ينضب معينها فكان يكتب الكتاب تلو الكتاب ويوزع مسوداتها على أصدقائه للاطلاع عليها وابداء آرائهم فيها . إن ابحاثه واراءه الصائبة في الفلسفة

الفيلسوف دينيس ديدرو

والعلوم على اختلاف اصولها وفروعها غدت فيما بعد قاعدة يسير عليها الكتاب والمؤلفون الذين نسجوا على منواله ونهجوا منهجه ولذلك نرى ان جميع الكتاب المبرزين ومصوري الافكار الماهرين والفلاسفة المحققين في هذا العصر مدينون لديدرو ولذلك سموه بحق أبا المذاهب المادية والهيولية

كان ديدرو دائرة معارف متنقلة حوت بين دفتيها جميع العلوم والمعارف فقد

كتب في جميع الشؤون المختلفة كتأليفه في ما وراء الطبيعة وعلم النفس والاخلاق والسياسة والموسيقى والصناعة والتجارة وقرض الشعر وتأليف الروايات على اختلاف انواعها ووضع الروايات التمثيلية . وتعمق في الرياضيات والتاريخ . ان ديدرو ككاتب وانسان فلتة من فلتات الطبيعة بل كان نابغة من نوابغ العصر الذين ولما بجود الدهر بمثلهم . كان ذا وجه صبوح مطبوعة عليه سمات الشرف والنبل وعينين براقتين ينبع منهما نور الذكاء وعقل فياض . واشتهر بالبساطة ولين الجانب والتواضع وكان كيسه مفتوحاً لكل محتاج وهو مع ذلك شديد العارضة صادقاً في القول حراً في الفكر بعيداً عن الرياء والمداهنة وكان الناس في نظره سواء لا يؤثر غنيهم على فقيرهم ولا رفيعهم على وضيعهم

ولد صاحب هذه الترجمة في ٥ اكتوبر (تشرين اول) عام ١٧١٣ في شامباني من عائلة نشيطة بحدة حيث كان والده يصنع السكاكين فلما ترعرع أراد والده ان يعلمه صناعته فادخله مدرسة اليسوعيين ليتلقى بعض مبادىء العلوم فمكث فيها غير طويل وأعلن والده انه لا يريد البقاء فيها فادخله في مدرسة أعلى وثلا انهى دروسه فيها الحقه والده بمكتب احد المحامين في باريس وكان له من العمر اذ ذاك سبعة عشر عاماً لكنه ابى الاشتغال في ذلك المكتب وانصب على درس اللغات الانجليزية واللاتينية واليونانية والايطالية وكان المحامي ينبهه الى القيام بواجباته ولكنه عبثاً كان يحاول ذلك وأخيراً فصله عن مكتبه فغضب والده وطرده من منزله وأبى مساعدته مادياً فلبث الغلام في باريس مطروداً من الجميع دون ان يكون في جيبه فرش واحد . وكيف كان يعيش مدة هذه الاعوام ؟ لا يعلم بذلك غير الله وقد كان يعطي دروساً خاصة ويكتب بأجر عظات لبعض القسوس الخاملين ليلقوها على الناس ويضع لهم رسائل دينية ليوزعوها على الرعية وكان يترجم الفرائض من لغة الى اخرى

عاش على هذه الطريقة عشر سنوات وبعدها تزوج بابنة خياطة فتحسنت حالته المالية بعض التحسن غير انه مع ذلك كان يبحث عن عمل فلم يتيسر له ذلك الى عام ١٧٤٦ حيث عين مديراً لدائرة المعارف الفرنسية المشهورة

أن فكرة جمع ووضع كما صنعه الانسانية وابتكرته العقول في مؤلف واحد يحوي جميع فروع العلوم والاختراعات والصناعات والفنون وملحقاتها ذلك ابتكرها رجل يدعى تشمبرس من اهالي لندن . وأول دائرة معارف ظهرت في لندن كانت عام ١٧٢٨ وصادفت رواجاً عظيماً ثم خطر على بال مؤلف فرنسي يدعى ليبريتون أن يصدرها في فرنسا فخاطب في ذلك اشخاصاً معدودين فقبلوا مشروعه بالفتور واخيراً خاطب ديدرو الذي قنا عنه آنفاً انه دائرة معارفه منقطعة فصوب هذا المشروع سروراً عظيماً لانه يساعده بمقاضي اولاً مالية فرتب راتباً شهرياً وثانياً انه يستطيع اظهار مواهبه واخيراً انه يتبع بذلك زيادة معارفه بالطالعة والتنقيب

وفي ٢٠ يناير سنة ١٧٤٦ سنحت الحكومة للمسيو ليبريتون مساعدة مالية لاصدار دائرة المعارف . وكان هذا اليوم تاريخاً خالداً في تاريخ فرنسا الادبي بل حتى لتاريخ العالم باجمعه وقد قدر ديدرو المسؤولية التي اخذها على نفسه وهي تقديم كتاب جامع لخلاصات العقول ومبتكرات الافكار واختراعات المخترعين وغير ذلك من الفنون والعلوم . وقبل وفاته هذا العقل الجليل كانت شهرته قد انتشرت في بارس وتقاطر على منزله العلماء والكتاب للاستشارة والمناقشة وفي ذلك الزمان لعبت في فرنسا دور اتهما الفنون الشبانية والطبيعة وكان تراكم الاختراعات فيها كلاة ربة المنزل التي لا تخلو ما طامن الاشياء والملاحظات المتنوعة فصلاً عما من الثروة الواسعة وكل ربة بيت وكان تبدل مجهوداتها لاجتناب العلل والشرور والدوائع الى الاختراعات التي تفقدها وكان ديدرو ربة هذه الاختراعات بل كان مطمحاً للانظار وموضوع ما كان عليه من سعة الاطلاع وسعة المدارك فانه ورث عن ابيه المهارة في ولوعه القصص والروايات وزيارته تلك الاندية الادبية الكبيرة مغرمة واحترام رجال العلم وكبار الموظفين والقواد ورجال الدولة والادباء منه

ثم ان معرفة رجل العلم مكنته من اجتذاب فولتير وروسو ودالامبير وتوسيكيه وتورجو للاشتراك في تأليف دائرة المعارف التي طارت نجاحاً بغتة واقبالا

زائداً . ولكن هذا المشروع العظيم اوجد اعداء كثيرين للمشتغلين به تواخذت الدسائس والفتن مأخذها وما زالت تجري في مجراها حتى حملت الحكومة على حرق بعض الاجزاء وصادرت بعض الاجزاء الاخرى وعهدت الى اليسوعيين انجاز هذا المشروع الخطير. الأمر الذي قام وقعد له العلماء واهتمت به اوربا كل الاهتمام وانضم الى جانب ديدرو الرأي العام المتنور وقامت ضجة حول هذه المسألة اضطرت الحكومة في النهاية الى الاذعان للرأي العام وردت لديدرو كرامته وارجعت له جميع الاوراق التي اخذتها منه التي كانت سلمتها اليسوعيين

وفي هذه الدفعة باشر ديدرو العمل بنفسه لانه جميع الكتاب تنحوا عنه خيفة من الفتن والدسائس فجعل يكتب ويبحث وينقب بهمة لا تعرف الملل فظهر اول جزء من دائرة المعارف عام ١٧٥١ وظهر الجزء السابع عشر عام ١٧٦٥ ثم كتب خمسة اجزاء أخرى تكميلية وانتهى من عمله هذا الشاق عام ١٧٧٢ وباتمامه انقطع راتبه فتطرقت اليه الحاجة ثانية وجعل يبحث عن عمل يقوم بأوده وتربية ابنته الوحيدة فلم يفلح واخيراً قرر بيع مكتبته الكبيرة ليخرج من المأزق المالي

وصادف في هذه الاثناء وجود يتسكوي احد موظفي الامبراطورة كاترينا الثانية في باريس وقد تعرف بديدرو ولما وقف على حالته السيئة وعزمه على بيع مكتبته اخبر الامبراطورة وطلب اليها ان تبتاع تلك المكتبة فورد عليه الجواب بالقبول فكتب الى ديدرو ما يأتي :

« ان الامبراطورة تأثرت تأثراً شديداً لدى اطلاعها على حالتك وتأسفت جداً لان فيلسوفاً عظيماً مثلك يقدم نفسه ضحية على مذبح وطنه يترك وطنه يقاسي آلام الحاجة والفاقة وفي الشدائد تعرف الاخوان وقد امرتني ان ابتاع المكتبة منك بمبلغ خمسة عشر الف فرنك بالشروط الآتية: تدفع الامبراطورة ثمن المكتبة حالما تصل وتبقيها تحت تصرفك مدة حياتك وتدفع لك راتباً سنوياً قدره الف فرنك في مقابل محافظتك على المكتبة وتدفع لك هذا الراتب مقدماً عن خمس سنين سلفاً »

وقف ديدرو على هذا الخطاب تنسابل الدموع من عينيه وقال وهو تكاد تخنقه

العبرات : ان الشرف يقضي علي بان اعيش خمسين سنة اخرى لاؤدي وظيفتي

الامبراطورة كاترينا الثانية

ومن هذا العهد توثقت العلاقات بين ديدرو والامبراطورة كاترينا وجعلت تمهد اليه بمهمات مختلفة كشترى صور وكتب وخارطات وغير ذلك

وبعد ذلك أعني ديدرو غير الحاجة وعاش في باريس مطمئن البال محاطاً

باصدقائه وأخذت شهرته في الاتساع مع انه لم يكتب شيئاً في هذه الفترة لان الحياة آذنت بالافول وخمدت قوة الشباب وفترت الذاكرة وكان اعظم ما يتمناه زيارة بطرسبرج لتقديم قروض الشكر بنفسه لتلك التي انقذته من الفقر ووضعته تحت حمايتها ولكن صعوبة السفر قبل ٢٠٠ عام حالت دون امنيته

وأخيراً صحت عزيمته على السفر فغادر باريس ولما بلغ في طريقه هولاندا أعجبته مناظر تلك البلاد الطبيعية فاقام فيها عدة اعوام ألف في خلالها كتاباً تحت عنوان « رحلة الى هولاندا » ثم واصل السفر فبلغ روسيا وانتظم في سلك موظفي الامبراطورة حيث اشتغل بجد ونشاط ووضع بحسب اشارتها منهجاً للتعليم في روسيا كما وضع لائحة لاصلاح البلاد فلم يسع الامبراطورة تنفيذها في تلك الايام. وعرض على الامبراطورة ان تحرر الفلاحين من عبودية الاشراف وتقوم باصلاح طرق المواصلات التي بدونها لا تقوم قائمة للتجارة وبوجه الاجمال فانه قام بخدمات جليلة لروسيا توازي ما تقاضاه من الامبراطورة

وقد أصيب بسبب البرد في روسيا بمرض عصبي فعاد أدراجه الى باريس حيث عاود العمل ولكن قواه انضعفت جذوتها وفي ٣١ يوليو عام ١٧٨٤ توفي بهدوء وبدون مرض سابق

وبعد حين عرف مواطنوه فضله فاقاموا له الاحتفالات الباهرة ولقبوه بمعلم فرنسا الاول واقاموا له في باريس تمثالا محكم الصنع اكتبت فيه كل اوربا وقام بصنعه بارتولدي صانع التماثيل الشهير

الدنيا متاع . وخير متاع الدنيا المرأة الصالحة

قال سليمان الحكيم : المرأة الصالحة جوهرة كريمة ثمنها يفوق اللآلىء ولكن أين نجدها

وقال حكيم هندي: المرأة الصالحة لبعلها كالتاج المرصع بالذهب كلما رآها قرت عينه

المرأة ريحانه . وليست بقهرمانه